

## باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين<sup>(١)</sup>

قال دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَدَبَا الفيلسوف: قد سمعتُ هذا المثلَ فاضرب لي مثلاً في شأنِ الرَّجُلِ الذي يَرَى الرَّأْيَ لغيرِهِ ولا يَرَاهُ لِنَفْسِهِ .  
قالَ الفيلسُوفُ: إِنَّ مِثْلُ ذلكَ مِثْلُ الحَمَامَةِ والثعلبِ ومالكِ الحَزِينِ .  
قالَ المَلِكُ: وما مِثْلُهُنَّ؟

قالَ الفيلسُوفُ: زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَةً كانتُ تُفْرِخُ في رَأْسِ نَخْلَةٍ طَوِيلَةٍ ذَهَبَةٍ في السَّمَاءِ، فَكانتِ الحَمَامَةُ تُشْرَعُ في نَقْلِ العُشِّ إلى رَأْسِ تَلْكَ النَخْلَةِ فلا يُمكنُها أَنْ تَنْقُلَ ما تَنْقُلُ مِنَ العُشِّ وتَجْعَلُهُ تحتَ البَيْضِ إلاَّ بَعْدَ شِدَّةٍ وَتَعَبٍ ومَشَقَّةٍ لَطولِ النَخْلَةِ وسُخْقِها<sup>(٢)</sup> فإذا فَرَعَتْ مِنَ النَّقْلِ باضتْ ثمَّ حَضَنْتْ بَيْضُها فإذا فَقَّسَتْ وأدْرَكَ فِرَاحُها جَاءَها ثَعْلَبٌ قد تَعَهَّدَ<sup>(٣)</sup> ذلكَ منها لوقْتٍ قد عَلِمَهُ بِقدْرِ ما يَنْهَضُ فِرَاحُها فيَقِفُ بأصلِ النَخْلَةِ فيصيحُ بها وَيَتَوَعَّدُها<sup>(٤)</sup> أَنْ يَرْقَى إليها أو تَلْقَى إليها فِرَاحُها فتُلْقِيها إليه، فبينما هو ذاتَ يومٍ وقد أدْرَكَ لها فَرُخانٍ إِذْ أَقْبَلَ مالِكُ الحَزِينُ فَوَقَعَ على النَخْلَةِ، فلَمَّا رَأى الحَمَامَةَ كَثيبَةً حَزِينَةً شَدِيدَةَ الهَمِّ قالَ لها: يا حَمَامَةُ! ما لي أراكِ كاسِفةَ البالِ، سَيِّئَةَ الحالِ؟

فقالَتْ لهُ: يا مالِكُ الحَزِينُ إِنَّ ثَعْلَباً دُهَيْتُ بِهِ<sup>(٥)</sup>، كَلَّمَا كانَ لي فَرُخانٍ جَاءَنِي يَتَهَدَّدُنِي وَيصيحُ في أصلِ النَخْلَةِ فأفْرُقُ<sup>(٦)</sup> مِنْهُ فَأطْرَحُ إِلَيْهِ فَرُخَيَّ. قالَ

(٤) توعد: هدد.

(٥) دهيتُ به: منيت.

(٦) أفرق: أفرع.

(١) مالك الحزين: طائر مائي.

(٢) سُخِقَها: ارتفعاها.

(٣) تعهد: عرف.

لها مالك الحزين: إذا أتاك ليفعل ما تقولين فقولِي له: لا ألقى إليك فرخي فأرُق إليّ وعرّز بنفسك<sup>(١)</sup> فإذا فعلت ذلك وأكلت فرخي طرث عنك ونجوت بنفسي. فلما علمها مالك الحزين هذه الحيلة، طار فوق على شاطئ نهر، فأقبل الثعلب في الوقت الذي عرف إدراك فرخيها فوقف تحت النحلة، ثم صاح كما كان يفعل فأجابته الحمامة: بما علمها مالك الحزين فقال لها: أخبريني من علمك هذا؟ قالت: علّمني مالك الحزين فتوجه الثعلب حتى أتى مالكا الحزين على شاطئ النهر فوجده واقفاً.

فقال له الثعلب: يا مالك الحزين إذا أتتك الريح عن يمينك فأين تجعل رأسك؟ قال: عن شمالي. قال: فإذا أتتك عن شمالك أين تجعل رأسك؟ قال: أجعله عن يميني أو خلفي، قال: فإذا أتتك الريح من كل مكان وكل ناحية أين تجعله؟ قال: أجعله تحت جناحي. قال: وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحيك؟ ما أراه يتهيأ لك. قال: بلى. قال: فأرني كيف تصنع فلعمري يا معشر الطير لقد فضلكن الله علينا إنكن تدرين في ساعة واحدة مثل ما ندرى في سنة، وتبلغن ما لا نبلغ وتدخلن رؤوسكن تحت أجنحتكن من البرد والريح فهنيئاً لكن فأرني كيف تصنع؟ فأدخل الطائر رأسه تحت جناحيه فوثب عليه الثعلب مكانه فأخذه فهمز<sup>(٢)</sup> همزة دق عقه<sup>(٣)</sup> ثم قال: يا عدو نفسي ترى الرأي للحمامة وتعلمها الحيلة لنفسها وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يتمكن منك عدوك ثم قتله وأكله.

(١) عرّز بنفسك: عرضها للهلاك.

(٢) همز: ضرب.

(٣) ودق: كسر.

## الخاتمة

فلَمَّا انْتَهَى الْمَنْطِقُ بِالْفَيْلَسُوفِ وَالْمَلِكِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ سَكَتَ الْمَلِكُ. فَقَالَ لَهُ الْفَيْلَسُوفُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ عِشْتَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمُلِّكَتَ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ وَأَعْطَيْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا مَعَ وُفُورِ سُرُورِكَ وَفُرَّةِ عَيْنِ رَعِيَّتِكَ بِكَ وَسَاعِدَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ لَكَ فَإِنَّهُ قَدْ كَمَلَ فِيكَ الْحِلْمُ وَالْعِلْمُ، وَذَكَا مِنْكَ الْعَقْلُ وَالْقَوْلُ وَالنِّيَّةُ، فَلَا يُوجَدُ فِي رَأْيِكَ نَقْصٌ وَلَا فِي قَوْلِكَ سَقَطٌ وَلَا عَيْبٌ وَلَقَدْ جَمَعْتَ النَّجْدَةَ<sup>(١)</sup> وَاللَّيْنَ فَلَا تُوجَدُ جَبَانًا عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَلَا ضَيِّقَ الصِّدْرِ عِنْدَمَا يَنْوُبُكَ<sup>(٢)</sup> مِنَ الْأَشْيَاءِ.

وَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ شَمْلَ بَيَانِ الْأُمُورِ وَشَرَحْتُ لَكَ جَوَابَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنْهَا فَأَبْلَغْتُكَ فِي ذَلِكَ غَايَةَ نُضْحِي، وَاجْتَهَدْتُ فِيهِ بِرَأْيِي وَنَظْرِي وَمَبْلَغَ فِطْنَتِي، التِّمَاسًا لِقَضَاءِ حَقِّكَ وَحُسْنِ النِّيَّةِ مِنْكَ بِإِعْمَالِ الْمِكْرَةِ وَالْعَقْلِ فَجَاءَ كَمَا وَصَفْتُ لَكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْمَوْعِظَةِ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ الْأَمْرُ بِالْخَيْرِ بِأَسْعَدَ مِنَ الْمُطِيعِ لَهُ فِيهِ وَلَا النَّاصِحُ أَوْلَى بِالنَّصِيحَةِ مِنَ الْمُنْصُوحِ، وَلَا الْمُعَلِّمُ لِلْخَيْرِ بِأَسْعَدَ مِنَ مُتَعَلِّمِهِ مِنْهُ. فَأَفْهَمَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ! وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

تم الكتاب والحمد لله أولاً وآخراً.

(١) النجدة: الشجاعة.

(٢) ينوبك: ينزل بك.